المحاضرة الخامسة: التنظيم الاجتماعي والمعتقدات الدينية لمملكة الأشانتي:

تأثرت قبيلة الأشانتي اجتماعيا، وثقافيا بالظروف الاقتصادية؛ حيث لعبت هذه الظروف دورا أساسيا في تكوين مجتمع الأشانتي، وهذا بحكم انعزالهم،ووقوعهم وسط الغابات فراحت الحاجة للغذاء، وكذا السيطرة على بعض الثروات الطبيعية والطرق التجارية تشكل مجتمع فرض عاداته وتقاليده لفترة من الزمن بل وبقيت حتى اليوم.

ويفسر مجتمع الأشانتي بأنه مجموعة من الناس يقومون في منطقة جغرافية محددة يشتركون معا في الأنشطة السياسية والاقتصادية يكونون فيما بينهم وحدة اجتماعية ذات حكم ذاتي أساسه القوانين العرفية المتعارف عليها فيما بينهم، والتي تتحكم في القيم والسلوك العامة بين أفراد القبيلة، وكذا القبائل المجاورة لها.

وأهم مميزات الحياة الاجتماعية في مملكة الأشانتي هو البناء الاجتماعي المتمثل في الأسرة، العشيرة، القبيلة.

1: الأسرة: هي النواة الأساسية والأولى عند مجتمع الأشانتي ، والأسرة عندهم نوعان: الأسرة المكونة من الزوج، والزوجة والأبناء، وهي الأسرة العادية، أو البسيطة، وهناك العائلة المركبة، وهي التي يتزوج فيها الزوج أكثر من زوجة وأنجب منهم أبناء.

والعائلة المركبة لا تظهر فقط في تعدد الزوجات، وإنما في وجود الإخوة الأشقاء؛ أي الذين ينحدرون من نفس الأب ولكن بأمهات مختلفات، والأم في الحياة الأشانتية ذات مكانة هامة فهي قاعدة الوراثة عن طريق ما تمنحه الأم للولد من الدم المعروف ب الموغيا (mugya)، كما أنه يرثها لأن نظام الوراثة أموي.

ومن جهته الأب يحتل المركز الثاني في الأسرة عند الأشانتي، والأب يمنح الولد 'الروح' التي تعرف عندهم بـ النوترو (Notro)، وبذلك كل شخص من الأشانتي ينتمي إلى مجموعة من ناحية أمه، ومجموعة من ناحية أبيه، ويعتقدون أن المرء يرث دمه، وجسمه من أمه، ويرث الروح التي تمثل الشخصية من أبه التي تمتاز بالرأفة ، والجرأة، والشجاعة، وبذلك فسر سكان الأشانتي انتماءهم للنظام الأموي، والأبوي في آن واحد.

2: العشيرة : هي عبارة عن اتحاد أربع أو خمس مجموعات مختلفة من الأسر لها رئيس واحد معترف به من قبل الجميع، وأهم العشائر عند الأشانتي هي الأيوكو (Oyoko)، واعترف الأشانتي بوجود نوعين من العشائر التي تعرف في لغة الأشانتي بـ Abusua، عشائر أموية، وعشائر أبوية.

والعشائر الأموية تقوم على أساس الدم الذي يعتقون أنه ينتقل عن طريق الإناث فقط، بينما تقوم العشائر الأبوية على أساس الروح والتي تنتقل عن طريق الذكور، وتنتقل السلطة والثروة عند الأشانتي في خط النساء، وتتمتع العشيرة الأموية بمركز أعلى من الأبوية.

3: القبيلة: تتكون الهيئة الاجتماعية في القبيلة من الموتى والأحياء جميعا على أساس تبادل الخدمات والمنفعة بينهم، فالموتى هم الرؤساء الفعليون في الأسرة، والقبيلة، وهم القوامون على استمرار مراعاة التقاليد، والمراقبون لسلوك ذرياتهم من الأحياء، ولهم حق الثواب، والعقاب؛ إذ هم تمسكوا بالعادات أم حادو عنها، وبذلك أصبح للأجداد النفوذ الكامل في في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد القبيلة، ولكل ذنب أو مخالفة عقوبة مقررة يعرفها الجميع، ويخضعون لها، وبذلك يصبح التماسك الاجتماعي، ومراعاة النظام، والاشتراك في الحياة العامة، وحفلاتها الدينية، وتبادل الاحترام كلها فروض مكفولة وميسورة بسلطان القوى العليا التي تسهر على دائما على التمسك بالتقاليد، وأقصى ما يصيب الفرد من عقوبات أن يطرد من الهيئة الاجتماعية للقبيلة إذ أخل بنظمها.

ويأتي في مرتبة الموتى الجد الأعلى للأسرة ثم ذريته حسب أسبقيتهم في الوفاة، ليأتي بعد هؤلاء الموتى الأحياء على الترتيب التالي:

رب الأسرة: وهو أكبر الأسرة سنا ورئيسها، وهو الوسيط بين الأحياء والأموات، ويليه في المرتبة الشيوخ، ثم الكهول من الرجال، ثم الشباب، الأطفال.

طبقات المجتمع:

يعد شعب الأشانتي شعبًا مستقرا متكاملا تجمعه وحدة متماسكة تتكون من ثلاث طبقات، وهي طبقة الملكية وكبار رجال المملكة، طبقة المواطنين الأحرار، طبقة العبيد، إلى جانب عناصر أخرى كالمسلون، والأوربيون فيما بعد.

1- **الطبقة المَلَكية، وكبار رجال المملكة**: وتجمع هذه الطبقة الأسرة الملكية، وعلى رأسها الملك، وأفراد أسرته المالكة، التي وصلت إلى مكانة كبيرة كونهم ينتسبون إلى الأسرة المالكة، كما تظم طبقة كبار قادة الجيش، رؤساء المقاطعات، التابعة للمملكة، الزعماء المحليين، واحتفظت هذه الطبقة بسلطاتها السياسية، والاجتماعية، وحتى الاقتصادية.

2- **طبقة المواطنين الأحرار**: وهم المواطنون الذين ولدوا من أمهات أحرار، وتظم هذه الطبقة الكهنة، والعرافون، العمال المزارعين، التجار، الحرفيون، والجنود.

3- العبيد: وهم الذين ولدوا من أمهات أرقاء، ومعظمهم مسخرون لخدمة المملكة واسايدهم.

4-. **الأجانب**:

أ/ الأوربيون: هم التجار الذين استقروا في المعاقل والحصون الساحلية، وهم من جنسيات مختلفة لكنهم كانوا يترددون كثيرا على المناطق الداخلية قصد الحصول على الرقيق والذهب، وهذا عندما يتوقف الأفارقة (الوسطاء) عن جلب الكميات الكافية منه.

والأشانتي ربطوا علاقات أكثر مع الهولنديين، وهذا بحكم أسبقيتهم في الاستقرار على السواحل، وبداية توغلهم نحو المناطق الداخلية.

ب/ المسلمون: خلال فترة توسع مملكة الأشانتي في أوائل القرن التاسع عشر وصل العديد من الأمراء التجار من مدن الهوسا، والبرنو إلى كوماسي، كما أنهم دخلوا في مفاوضات مع الأشانتي على شرط ازدهار التجارة، وقبل 1807 وضع شيخ من كاتسينا نفسه وأتباعه في خدمة ملك الأشانتي خلال غزوه لدولة الفانتي 1807، ةفي 1815 وصل شريف من البرنو يدعى الحاج إبراهيم إلى كوماسي صحبة 2 من ألأشراف بقي في كوماسي إلى غاية 1818م

العادات والتقاليد: للأشانتي عادات وتقاليد خاصة بها، وكانت معتقداتهم تؤثر تأثيرا مباشرا في حياتهم اليومية، فكانت مثلا بالنسبة للشؤون الصحية عادات خاصة بالمرض، والصحة في غياب المعرفة العلمية عن المرض وأسبابه، فتنتشر بينهم اعتقادات أن اعتلال الصحة يعود إلى كائنات خارقة فوق الطبيعة مثل الإله، والأسلاف، وأرواح الشياطين أو السحر، حتى علاج الداء في اعتقادهم يستند إلى المعالجة عن طريق هذه الأشياء؛ أي عن طريق نظريات الطب الخارقة.

القضاء والقدر: اعتقد الأشانتي أن الشخص قبل ميلاده مقدر له المرض، وكذلك غضب الأسلاف، والآلهة أحد أسباب المرض، أما المصدر الرئيسي للمرض في اعتقادهم هو السحر الذي يقوم به بعض الأفراد.

والطبيب المعالج عند الأشانتي هو العراف أو رجل الطب وأمامه ثلاث احتمالات إما أن يموت أو يشفى أو يبقى مريضا، ويحوز العراف شهرة كبيرة إذا استعرض قدرته على هزيمة القوى غير الطبيعية، وإن فشل له مبرراته كعقاب الآلهة للمريض، أو غضب الأسلاف.

الزواج عند الأشانتي: الزواج عند الأشانتي له عاداته وتقاليده الخاصة بهم والنابعة عن حضارتهم وثقافتهم، حيث يتم الزواج في البداية بفترة من المعاشرة الجنسية غير الشرعية يرتضيها كلا الأبوين للرجل والمرأة، ويُعترف به كزواج حقيقي، ويأخذ شكل الزواج النهائي حين يقدم العريس زجاجتين من الخمر عن طريق رئيس عشيرته إلى رئيس عشيرة العروس في حضور جمع من الأسرتين والعشيرتين، وهو بمثابة مهر يسمى (Terenoa) ويلزم الزوج بتوفير الطعام والملبس والمسكن للزوجة ورعايتها، ويقدم العريس هدية لأم العروس وأخواتها، كما تقدم العروس هدية نقدية عندما تذهب لبيت زوجها لأول مرة، ويعد لها عشاء

فاخر، ولا ترد الهدايا إذا ما تم الطلاق، ويدفع الزوج جزء من المال يسمى Tiresake، وهو فرض عن الفترة التي قضتها الزوجة مع زوجها في خدمته ورعايته .

ومن محرمات الزواج عند الأشانتي أنهم لا يتزوجون من أصولهم أو فروعهم كإبنة الأخت، أو بنت بنت الأخت، بنت الأخ، بنت العمة، بنت أخ الوالد، بنت الخالة.

النسل والإنجاب: اعتقد الأشانتي أن نسل الطفل ينقسم إلى ثلاثة أقسام جزء عن طريق المرأة أي الدم وهو 'الموغيا'، والآخر عن طريق الأب أي 'النوترو' وهو الروح والشخصية ، ويعتقدون أن الجزء الثالث يمنحه الله للطفل وهو الحياة ، وأن الروح جزء من من الله وأنها تمد الإنسان بالضمير، ويعتبر عقم الرجل أو المرأة عار وخزي عندهم.

ويتكون اسم الطفل من جزأين، الأول اسم الروح وهو اسم الإله الذي يصاحب اسمه الثاني، ويسمى الطفل في صباح اليوم السابع حيث تقام فيه احتفالية تلبس فيه المرأة ملابس بيضاء وحلي من فضة.

عادات الأشانتي في اللباس: تتألف الزينة الرئيسية للنساء من من مجكوعة خرز الوسط التي تعرف بـ أتاما ATAMA حيث يلف ذلك الخرز حول الفتاة بعد ولادتها بفترة قصيرة، وغالبا ما يكون قبل بلوغها أي قبل فترة Natata، وعندما تصل البنت فترة سن السادسة ترتدي شريطا من القماش لونه أحمر تغطي به جسمها وفي سن الثامنة ترتدي فستان أول نه يغطيها أكثر تخيطه لها والدتها، ومن جهتهم الذكور كذلك يرتدون ألبسة تغطي عوراتهم إلى أن يصبحوا رجالا، وفي |أوقات الحرب يلبسون ثيابا أكثر غلظة مصنوعة من جلود الحيوانات حتى تقيهم مما قد يصيبهم.

المعتقدات الدينية لدى الأشانتي:

الديانات الأصلية (الوثنية): يعتقد الأشانتي في عباداتهم بوجود إله أعظم خالق السموات والأرض ثم ارتفع إلى السماء بعد أن كررت إمرأة إلقاء اللوم وهي تصنع غذاءها، وإلى جانب الإله الأكبر توجد سبعة آلهة صغرى منهم: آدوو، أكو، أود، آمن....وهم يعملون في حاشية الإله الأعظم، وهم قائمون على العمل طوال الأسبوع، والفكر السائد بينهم هو أن هذا الإله يبعد بعدًا شاسعا عن العالم بحيث يصعب على الناس الاتصال به.

الإله الأعظم: يتخذ الإله الأعظم اسم 'نانا' Nana عند الأشانتي وهم يقدسونه على أنه أزلي خالق الكون، ويعتقدون أن له أهمية في تصريف شؤون الدنيا ولهم معابد قليلة له تتخذ على شكل أسطوانة من الطين ذات شعب ثلاث تسمى شجرة الله.

الآلهة الصغرى: يعتقد الأشانتيون أن هناك آلهة ثانوية بجانب الإله الأعظم، وهم مائيون يرمز لهم بأحواض من نحاس، وهم أرباب صغيرة سبعة بعدد أيام الأسبوع، ويختص كل إله

بحماية موالي يومه، ويتم التقرب من الآلهة بواسكة الملك أو رئيس القبيلة والأجداد الروحيين الذين عرفوا بالصلاح والشجاعة.

كما اعتقد الأشانتيون بالسلف أو عبادة الملوك السابقون للأشانتي حيث تقام لأرواحهم الحفلات وتقدم القرابين، وأشهر هذه الحفلات هي حفلات أرواح السلف السنوية، ويؤمن الأشانتي أيضا بتناسخ الأرواح فهم يعتقدون أن أرواح الموتى تخبئ لمدة 40 يوما تلجأ بعدها إلى Asmande (عالم الأرواح) ثم تسكن جسدا جديديا لتعود إلى الحياة على الأرض في صورة أخرى، وعليه فالحياة في فلسفتهم هي عبارة عن دورة مستمرة؛ أي ولادة، وجود، موت، ثم انتظار الروح لتنتقل مرة أخرى إلى كائن إنساني جديد.